نماذج من كتابات حول مي زيادة

(وفقًا للتسلسل الزمنيّ)

لميّ زيادة مكانة في أدبنا الحديث، بلغتها بما أُوتِيَتْ من موهبة إبداعيّة وخصائص فنّيّة وجماليّة، وبما قدّمت للقارئ العربيّ والأجنبيّ من مؤلَّفات في الأدب والاجتماع، ومطارحات في النّقد والبيان، دلّت على رسالة هذه الكاتبة وإخلاصها. فهي من روّاد التجديد في أدبنا وحياتنا، ومن الطليعة التّحرّريّة البَانِيَةِ التي برزت بنبوغها وطموحها في النصف الأولّ من هذا العصر، كالعقّاد، وطه حسين، والمازني، والنعيمة، والرَّيحاني، وجبران، والشبيبي، وأمثالهم؛ فكانت ميّ مشارِكَة بقلمها وندوتها في إنشاء الوعي الفكريّ الحديث، داعية إلى الحفاظ على كرامة العربيّة وقوميّتها. [...].

ومؤلَّفات مَيّ، التي لم تكنْ عديدةً على خصب مواهبها وتعدّد تجاريبها، حملت آراءها وأسلوبها، وصَوَّرَت منازعَها وأشواقَها، وكانت رائدةً مجدّدة في دعوتها وتعبيرها. وإنّ تأثيرها في حياة الأدب والأدباء كان عميقًا. فالسعيد بودّها، والشقيّ بحقده، قد اعترف بفضلها، ولمس مآثرها. ولو أنّ مَيًّا قد انصرفت إلى التأليف، ولم تشغلها ندوتها الأسبوعيّة، لملأت المكتبة العربيّة والغربيّة بآثارها. لكنّها كانت مفتونة باللقاء الأدبيّ الذي جمعها بأقطاب الفكر والبيان في مصر والبلاد العربيّة، وأخذ من عمرها وجهدها، ولم تُحْجِمْ عن القيام بالخطابة والمحاضرة في حقول التكريم والنّهضة النسويّة والتّبعات الإنسانيّة، ممّا وزّع اهتمامها ونتاجها. وما كانت القيمة في تآليف مَيّ للكثرة في العدد والضخامة في الصفحات، بل في ما تناولت من موضوعات، وما أُوتِيَتْ من نبوغ في الأدب والتّفكير والأداء، وتمكّنها من ثقافة عربيّة وأجنبيّة لم تتيسّر إلّا لمعدودين من كبار الأدباء، في زمانها.

وداد سكاكيني،

"مكانة مَيّ وموقف النقّاد من أدبها"، في **مَيّ زيادة حياتها وآثارها**، القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٩، ص ٢١٢– ٢١٣.

###

نبغت مي في عهدِ تفجُّرٍ وانطلاق أدبيّ، فكان توهُّجها من توهُّج عصرها. برهنت على أنّ الأديب لا ينسلخ عن عصره، ولا يمكنه أن يتوهَّج في عصر منطفىء.

كان أدبها حصيلة التفاعل والانصهار بين ثقافَتي الشرق والغرب، ونموذجًا للتجديد الموفَّق في الموضوع والأسلوب.

عبّرت عن أماني عصرها وحاجاته، وأحيانًا جاوزت العصر، وشارفت المستقبل البعيد.

عالجت موضوعات الساعة. ساندت النهضة النسائيّة بخُطبها، وقلمها، وعطائها الفكريّ، ونضالها الاجتماعيّ. خاضت موضوعات كانت في عهدها بعيدة عن مستوى الجماهير ويكاد يتعثّر فيها الاختصاصيّون، منها: موضوع المساواة، الديمقراطيّة، الاشتراكيّة، هنري برغسن.

مارستِ المقالة بأنوعها، عالجت الخطابة والشعر المنثور، وفي أحيان قليلة القصّة والمسرحيّة.

أسلوبها، بحثيًّا كان أم شعريًّا، مثال للتجديد المبدع، الملتزم بحسن الذوق. وهو من الأساليب التي تثبت للزمن. يستمتع به القرّاء، ويقتدي به الطّلاب.

وكما كانت ميّ في تفوُّقها ورفعة نتاجها وليدة عصرها الغنيّ بالأدباء اللامعين، كانت كذلك ضحيّة عصرها الفقير بالروح العلميّة، المتخلِّف في ميدان الطبّ والأبحاث العلميّة العميقة، الخاضع لتقاليد غارقة في القدَم، تَعتبر الاضّطراب النفسيّ أو العصابيّ جنونًا، وتَصِمُ صاحبه بوصمة عار تزيد في شقائه، وقد تقف حائلًا دون شفائه.

بانطفاء ميّ، انقضى عهد العمالقة. انطفأت البسمة عن وجه الأدب العربيّ، وطلع علينا أدب كالح الوجه، ينذِر بالعواصف والكوارث. أدب التشاؤم والضياع. أدب التمرّد والعبث واللامعقول.

والكابوس الذي جثم بقوّة على صدر العالم العربيّ، جثم على صدر الأدب.

روز غريّب،

"كلمة ختاميّة" في **ميّ زيادة، التوهُّج والأُفول، حياتها– شخصيّتها، أدبها، فنّها**، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسَّسة نوفل، ١٩٧٨، ص ٢٠٩–٢١٠.

###

أدب مَيّ زيادة هو كأدب جورج إيليوت، وجورج صاند، ومدام دوستال، بأناقته وأنوثته، ناهيك بألوانه الحضاريّة التي نضحت من شخصيّتها ذات الثقافات المنوَّعة. فقد قيّض لميّ أن تتقن تسع لغات هي: العربيّة، والفرنسيّة، والإنكليزيّة، والألمانيّة، والإيطاليّة، والإسبانيّة، واللاتينيّة، واليونانيّة، والسريانيّة. وقد ألمَحَت إلى هذاالتنوّع في ثقافاتها الذي يرمز إلى اتّساع حدود وطنها الذي هو وطن الإنسان: "... و لعلّ معرفتي لتسع لغاتٍ زادت في حدود وطنيّتي، وجعلتني أنظر إلى العالم كأنّه وطني الأكبر. ولعلّ أيضًا سياحتي في أوروبّا قد زادت في نفسي هذه العقليّة".

من هنا انطلقت مَيّ لتثبت أمام المجتمع الشرقيّ جدارة المرأة التي هي منه، سواء في المقالات التي نَشَرَتْ، أو الخطابات والمحاضرات التي أَلْقَتْ، أو في منتداها الأدبيّ الذي حاورت فيه وناقشت كبار أدباء عصرها: يعقوب صرّوف، منصور فهمي، عباس العقّاد، أنطون الجميّل، شبلي الشميّل، أحمد شوقي، مصطفى الرافعي، وليّ الدين يَكن، خليل مطران، إسماعيل صبري...

إلّا أنّ هذا النشاط الثقافيّ المميّز الذي طبع مَيّ بطابع الفرادة، لم يكن ليمنعها من الالتفات إلى نشاطات بنات جنسها. من هنا استهوَتْها الحركة النسائيّة، وحملَتْها على الانضواء للسيّدة هدى شعراوي، فيما قامت به من حملات لتحرير المرأة ورفع مستواها. فقد كان تحرير المرأة قضيّة الثلث الأوّل من هذا القرن. لذلك نرى أنّ نشاطها الأدبيّ تَمَحْوَرَ حول شؤون وقضايا اجتماعيّة خالصة كانت المرأة منه في الصميم.

سيمون عوّاد،

"مقدّمة" في **من أدب ميّ زيادة**، بيروت، دار عوّاد للطباعة والنشر، ١٩٨١، ص ٥-٦.

###

هي من أشهر الاديبات العربيّات في جيلنا الحاضر، ومن أكثرهنّ إنتاجًا ومادّةً. لبنانيّة الأصل والنشأة، مصريّة الدار والإقامة، كاتبة وجدانيّة رومانطيقيّة، شاعرة، خطيبة، نقّادة.

لها شخصيّة بارزة جذّابة، وثقافة عالية، وصاحبة عقل واسع، بعيد النظر، دقيق التحليل. وهي ذات مخيّلة خصبة، مبتكِرَة، وشعور رقيق، دقيق الحسّ، ولباقة تعبيرها تكاد لا تَترك زيادةً لمستزيد. عبارتها جزلة اللغة، لطيفة التصوير، يمتاز أسلوبها بالعمق والصدق، وقوّة العارضة ومتانة الحجّة، وبالوضوح.

أكبتّ على درس آداب أشهر اللغات الأوروبيّة: الفرنسيّة، والإنكليزيّة، والإسبانيّة، والإيطاليّة، واللاتينيّة الحديثة. وما زالت منذ السادسة عشرة من عمرها حتّى قبيل وفاتها، تنشر مقالات عديدة في الصحف والمجلّات، بالعربيّة والفرنسيّة والإنكليزيّة، ولا سيّما في المواضيع الأدبيّة والنقديّة والاجتماعيّة. استرعت ما فاضت به من نباهة انتباه الادباء. فأدّت علاقاتها بهم إلى تكوين منتداها الأدبيّ الأسبوعيّ ومجالسها الأدبيّة، تعقدها الثلاثاء من كلّ أسبوع، يتسابق إليها الأدباء والزعماء والعلماء، أمثال لطفي السيّد، ووليّ الدين يكن، ويعقوب صرّوف، وأنطوان الجميّل، ومصطفى الرافعي.

يوسف أسعد داغر،

"مَيّ زيادة، ١٨٨٦\١٢\١١ - ١٩٤١\١٠\٢٠" في **مصادر الدراسة الأدبيّة**، الجزء الثاني، **الفكر العربيّ الحديث في سِيَرِ أعلامه، الرّاحلون (١٨٠٠ - ١٩٥٥)**، بيروت، منشورات الجامعة اللبنانيّة، قسم الدراسات الأدبيّة، ١٩٨٣، ص ٤٢١ – ٤٢٢.

###

يُستخلَص من بحث ميّ زيادة " غاية الحياة"[1] أنّ الحياة عطيّة إلهيّة غنيّة لا يقدر الإنسان، مهما ارتقى، أن يلمّ إلمامًا كاملاً بأسبابها ونتائجها. والملاحَظ أنّ الأديبة تقف موقف المتعجّب المقدِّر، الممجِّد الخالق. ولا شكّ في أنّها تساءلت عن معنى الوجود، وعن كنه جوهر الحياة، واعترفت بأنّ أيّ تحديد مجرّد موقف خاصّ أو شعور معيّن لا يصحّ أن يكون ناموسًا دقيقًا واضحًا. ويبقى الإنسان وحده، في نظرها، القوّة المبدعة تسهم في محاولات فهم الكون وأسرار الحياة، برغم محدوديّة هذه القوّة بدءًا بالجسد فالعقل فالروح. الحياة، إذن، وجود الإنسان، وغاية هذا الوجود السعادة، فهل نحن سعداء؟ حاولت أن تجيب عن السؤال وهي التي، كما قلت، أُعجِبَتْ بصنع الخالق، لكنّ إيمانها لم يكن استسلامًا كلّيًّا للروح الكونيّ، فاتّسم موقفها بالبعد عن الواقعيّة، وانطبع بطوابع عدّة: وجوديّ، ورومنطيقيّ، وروحيّ، تارة إلى التفاؤل، وتارة إلى الكآبة. ويلمح قارئ "غاية الحياة" ميلًا عقلانيًّا إلى فهم غاية الإنسان من وجوده دون التوصّل إلى ما يرضي طموح ميّ زيادة الكاتبة التي ظلّت تدور حول المشكلة رغم الأجوبة الكثيرة. وما ترضى عنه، في كتاباتها، هو القدرة على التأمّل والغوص على الاعماق، والقدرة على فهم مرارة النفس الإنسانيّة وطموحها وسعيها إلى السعادة والخلاص. يكون الإنسان سعيدًا حين يتخلّص من المقاومة والألم. فمتى يتخلّص منهما؟ حتمًا التخلّص منهما لا يتحقّق فجأة، وإنّما هو صراع نامٍ متواصل هدفه الحلم الجميل، حلم كلّ إنسان. وربّ متسائل هل حقّق الصراع لميّ أحلامها؟ هل حقّق الصراع سعادتها؟ الجواب التلقائيّ عن السؤال أنّ ميّ عاشت معذّبة، وأسلمت الروح وهي حزينة. ولكن أليست هي التي اعتبرت أنّ الإنسان بخلقه وإبداعه يصبح إلهًا صغيرًا. ألم تعتبر السعادة في هالة الكرامة وما يرافق ذلك من صعوبات؟ أليست هي القائلة: "ما أعظم الحبّ وأشرفه في القلب المتبصّر الحكيم! هو أقدر عامل ينهض بالانسانيّة مسهّلًا طريقها، مخفّفًا أثقالها، خالقًا من أبنائها الأبطال والجبابرة".

ربيعة أبي فاضل،

"ميّ زيادة روحيّة ونهر الحبّ دائم" في **مدخل إلى أدبنا المعاصر**، الطبعة الأولى، بيروت، دار الجيل، ١٩٨٥، ص ١٤٤-١٤٥.

###

شعَرت مَيّ قبل أن تفكّر، وتألّمت قبل أن تعي، وشرد بها الخيال قبل أن تدرك الواقع. أحلامها أكبر من يقظتها، وقلبها أرحب من عقلها، ونزعاتها في صراع دائم. [...]

والقلب عند مَيّ فطرة، والعاطفة مزاج، والشعور طبْع. أمّا التعقّل فاكتساب، والتفكير تطبّع، وأحكامه معاندة وقسوة تحاولان الحدّ من رقّة المشاعر ورهافة الأحاسيس. وقد أدركَتْ مَيّ هذا الأمر في نفسها منذ صباها. [...]

[1] زيادة، ميّ، **غاية الحياة**، بيروت، مؤسّسة نوفل،١٩٧٥.

وجهاد مَيّ الفكريّ جاء بعد مرحلة طويلة من الاستغراق العاطفيّ، إلّا أنّه لم يُزِل من شخصيّتها معالم النزعة العاطفيّة الأولى، وبذلك تجاورت النزعتان: قلب يشعر، وفكر ينقّب؛ وكثيرًا ما كان القلب يفرض عليها حالة من حالات الوجدان فيأتي الفكر ليملي عليها رأيًا أو موقفًا يناقضان ما يميل إليه القلب، وهذا ما جعل حياتها صراعًا دائمًا، وحملها على إدراك وجود شخصيّتين في نفسها. [...]

متري سليم بولس،

"مَيّ زيادة والصراع الوجدانيّ" في **أدب النهضة الثانية**، الطبعة الأولى، AGATE، جونيه، ١٩٨٥، ص ٤٧ – ٤٨.

###

وممّا يسترعي الانتباه في تفكير ميّ، منذ أن كانت شابّة، هو مقطع من مقالة لها كان عنوانها: "من كوّة الحياة"[١] يجلو لنا حيرتها أمام لغز الحياة، وشعورها بالغربة بين الأحياء، ويأسها من مجاراتهم في فرحهم ولهوهم [....].

تُرى هل كان خوف ميّ من الناس في الحياة، حدسًا نابعًا من شفافية نفسها، وشعورًا مبهمًا مُسبَقًا بما حلَّ بها من تربّص الناس والقدر بها؟ وهل ماتت ميّ حقًّا وهزمها الأعداء الألدّاء؟ إنَّ اختفاءها الصامت في أيّامها الأخيرة، حتّى عن أقرب أصدقائها، كان آخر انتصار حقّقته لصون صورتها الحقيقيّة في أذهانهم، فقد عبّرت بعزلتها إبّان اشتداد المرض عليها، واستبداد اليأس بها، عن رغبةٍ قويّةٍ في أن يحفظوا لها صورةً جميلة لائقة، تتفق مع عزّة نفسها، وحرصها على صيانة كرامتها. وميّ كسائر حَمَلَةِ المشاعل في تاريخ الإنسانيّة، ستبقى حيّةً على مرِّ العصور، وفكرة مضيئة تستنير بها الأجيال عبر ما قدَّمت من آثار، وما أنجزت من خدمات للفكر والأدب والنهضة العربيّة الحديثة. كانت حياتها إرغامًا في إرغام، فكما أنَّها لم يُتَح لها أن تختار ولادتها وأهليها، كذلك حُرمت من اختيار طريقة موتها، لأنَّها كانت تشتهي الموت في أحضان الأمواج! ذلك أنَّها كتبت تقول للدكتور يعقوب صرّوف، وهي في أوْجِ الشباب:

"ما دام الموت محتَّمًا فحبّذا الموت في أحضان الأمواج، وحبّذا الراحة الأبديّة في القرار الخالد حيث لا تُزْعِجُ الأمواتَ أصواتُ الأحياء القساة، ولا يُوجِعُ ترابهم وقعُ أقدامهم!!"[٢]

وسواء ضمّت الأمواج رفات ميّ أو احتضنتها الرمال فإنّنا لا نغالي إذ نقول إنَّ حياتها كانت رجاءً في سراب، وإنَّها لم تَجِدِ الراحة إلّا بعد أن التفّت برداءٍ من تراب!

سلمى الحفّار الكزبري،

"التألُّق والغروب" في **ميّ زيادة أو مأساة النبوغ**، الطبعة الأولى، المجلّد الثاني، بيروت، مؤسَّسة نوفل، ١٩٨٧، ص ٤٤١-٤٤٢.

---

[١] زيادة ميّ، "كوّة الحياة" في **ظلمات وأشعّة**، الطبعة الثانية، بيروت، مؤسَّسة نوفل، ١٩٧٩، ص٧.

[٢] **الريحاني ومعاصروه** من رسالة ميّ إلى أمين الرَّيحاني المؤرَّخة في ٢٩-٢-١٩١٩- ص ١٦٥.

###

انحصر معظم نشاط مَيّ الأدبيّ في ناحيتين جوهريّتين: الناحية الوجدانيّة، وناحية الدفاع عن حقوق المرأة.

أمّا الأدب الوجدانيّ فهو أسمى ما تركته لنا، لأنّه مرآة صافية لنفسها الغنيّة المتمرّدة الكئيبة، وقد أفْرَغَتْه في صيغة يوميّات أو مذكّرات أو خواطر زاخرة بالحياة، بارزة العفويّة، يوم كان للصناعة اللفظيّة والتنميق السطحيّ والرواسم المحنّطة شأن كبير. ولعلّ للأدب اللبنانيّ المهجريّ تأثيره الفعّال في توجيهها هذا.

أمّا الدفاع عن حقوق المرأة فقد استأثر بالكثير من نتاج مَيّ الأدبيّ والخطابيّ والصحفيّ، وكانت بارعة في كتابتها الصحفيّة، تربط، بأسلوب رشيق، الواقعة الخاصّة الزائلة بقضيّة شاملة، فيبقى لها طراءتها بعد مرور الزمن...

[...] تبنّت ميّ الفكرة المعاكسة لرأي كبلنغ في "أنّ الشرق شرق والغرب غرب ولن يجتمعا"، وقالت بـ"تغريب" الشرقيّين من حيث الإقلاع عن التواكل، والأخذ بسُنن العمران، على ألّا يتخلّوا عن طابعهم المميّز. وبوحي هذا المبدإ صرفت بعض جهدها في التعريب[1].

ونزعت إلى الحلوليّة الشاملة ووحدة الوجود، وهي الفلسفة الهنديّة التي أيّدها أفلوطين وأتباعه بعد أفلاطون، وحاول ابن باجه وابن رشد "عقلنتها" من بعد. وقد ظهرت نزعتها هذه خصوصًا في **ظلمات وأشعّة**، كما أنّها عبّرت عن القلق الوجوديّ دون أن تُمَذْهِبَه. وأيّدت الأفكار الاجتماعيّة التقدّميّة دون أن يكون لها فيها نهج خاصّ.

لقد كانت مَيّ الأديبة شاهدةَ عصرها الأمين. عاشت مشاكله وجسّدت نفسيّته، وعكست أمانيه، في صفحات إنّ أَعْوَزَها أحيانًا طول النفس ورصف البناء، فلم يُعْوِزْها لا الشعور العميق، ولا حرارة التعبير، ولا صدق التجربة.

جميل جبر،

"الأديبة المُلتَزِمة" في **مَيّ في حياتها المضّطرِبَة**، طبعة ثانية، بيروت، دار الجديد، ٢٠٠٠، ص ١٧٦– ١٧٨.

###

...كانت مُولَعة بالأدب، فانكبّت على دراسته والتعمّق فيه من خلال عدّة لغات كالفرنسيّة والإنكليزيّة، والإسبانيّة، إلى جانب العربيّة. نشرت أدبها في عدد من الصحف والمجلّات المصريّة، فذاع صيتها، ولمعَ نجم أديبة نابغة، عزّ نظيرها في تلك الأيّام، فتقاطر إليها الأدباء، فوَطّدت عُرى الصداقات معهم، ممّا أدّى إلى ان يكون منزلها منتدًى أدبيًّا يعقد مجلسه يوم الثلاثاء من كلّ أسبوع، تُطرح فيه

١ ترجَمت عن الألمانيّة والفرنسيّة واليونانيّة والإيطاليّة، وقد نشرَت، عدا عن **ابتسامات ودموع** سنة ١٩١١، **الحبّ والعذاب**، و**رجوع الموجة** سنة ١٩٢٥، ناهيكَ عن الأبحاث والمقالات الكثيرة.

الموضوعات الأدبيّة والعلميّة والاجتماعيّة، بمستوى رفيع من الحديث، وسَمَر عفيف حلو، والنكتة النادرة، والشعر الراقي، ويرتاده كبار أدباء مصر في تلك الأيّام. وأصبح يوم الثلاثاء موعدًا ينتظره الأدباء بفارغ الصبر.

...تميّزت بشخصيّتها الجذّابة، وجمالها اللّافت، إلى جانب ثقافة عالية وعقل رحب مُنفتح، وذهن وقّاد، ونظرة ثاقبة بعيدة. وكانت في أدبها دقّاقة الشعور، خصْبة المخيّلة، جزلة العبارة، جميلة التصوير.

إميل بديع يعقوب،

"مَيّ زيادة" (١٨٨٦م/١٣٠٣-١٩٤١/١٣٦٠)" في **موسوعة أدباء لبنان وشعرائه**، الطبعة الأولى، الجزء الرابع عشر، بيروت، دار نوبليس، ٢٠٠٦، ص ١٧١.

###

وحتّى هذه اللحظة، عندما يُطرح اسم مَيّ زيادة على بساط البحث، تتوارد إلى الذهن فورًا أربع صُوَر مترابطة الأطراف شكّلَتْ، في حياتها وبعد مماتها ، الهالة التي رسمت ملامح الأدبية والإنسانة عند القرّاء والنقّاد على السواء:

أوّلًا– ندوة الثلاثاء التي كانت تنعقد في منزل آل زيادة ابتداء من العام ١٩١٣ وحتّى العام ١٩٣٥، وإنْ كانت تقطّعَتْ اجتماعاتها وانفرط عقد أبرز حضورها في السنوات التي أعقبت وفاة والد مَيّ (١٩٢٩) ووالدتها (١٩٣٢).

ثانيًا– العلاقة الأدبيّة والعاطفيّة التي ربطتها بجبران خليل جبران المقيم في الولايات المتّحدة الأميركيّة، وذلك منذ أوّل رسالة كتَبَتْها له في ٢٩ آذار/مارس١٩١٢، وحتّى آخر رسالة في العام ١٩٣١ سنة وفاته. وهي علاقة معقَّدة وغريبة.

ثالثًا– ما تردَّدَ عن تَوَلّه عدد من كبار الأدباء والصحافيّين السوريّين والمصريّين بمَيّ، سواء بادَلَتْهم هي المشاعر نفسها أو حافظت على مسافة من المودّة والاحترام بينها وبينهم. معظم هؤلاء كان من روّاد ندوتها الأسبوعيّة، وبعضهم كشف في فترات لاحقة عن رسائل متبادلة مع مَيّ.

رابعًا– الانهيار النفسيّ والجسديّ الذي حلّ بها ابتداءً من منتصف الثلاثينيّات بعد وفاة والدَيها وجبران في غضون سنوات قليلة. وأدّى ذلك إلى مأساة احتجازها في مستشفى الأمراض العقليّة (العصفوريّة) في إحدى ضواحي بيروت، بمسعى من أقربائها آل زيادة. تلك التجربة المريرة خلّفَتْ جروحًا عميقة في نفسها وفي جسدها، بحيث لم تستطع العودة إلى سابق تألُّقها ونشاطها، فتوفّيت في ١٩ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٤١وحيدة منسيّة في أحد مستشفيات القاهرة. وعند هوامش الصور الأربع التي ذكرناها أعلاه، يمكننا أن نتلمَّس ظلالًا أخرى قد لا تكون وحدها كافية للمساهمة في تحديد هوّيّة مَيّ الأدبيّة وشخصيّتها الفكريّة. وهذه الظلال تترافق دائمًا مع الصور

الرئيسيّة فلا تنفصل عنها مطلقًا، إذ من دونها لا يمكن إحلال مَيّ المكانة التي تتبوَّأها في كتب الأدب، خصوصًا تلك التي تغطّي النصف الأوّل من القرن العشرين.

أحمد أصفهانيّ،

"بين التصفيق ... والآهات!" في مَيّ زيادة ... صحافيّة، الطبعة الأولى، بيروت، دار السامي، ٢٠٠٩، ص١٩.

###

لقد شاعت بين العامّة والخاصّة فكرة أنّ مَيّ تأثّرت بأدب المهجريّين السوريّين في أميركا، وأنّ اتّجاهها نحو تنمية أسلوب شخصيّ بدل محاكاة أساليب الأقدمين يعود إلى هذا التّأثّر. شاعت هذه الفكرة، رغم امتعاض مَيّ ذاتها منها [...].

من الواضح من استعراضنا "زهور ميّ الأولى" أنّ مَيّ أنشأَت، باكرًا جدًّا، أسلوبًا أدبيًّا شخصيًّا. وما نريد التنبيه إليه هو أنّ هذا الإنشاء لا يحتاج إلى نموذج ذكوريّ يتبعه تخصيصًا أو احتكارًا. فإذا كانت مَيّ قد جعلت من بعض الأعمال الأدبيّة الذّكوريّة زادًا فكريًّا وأدبيًّا، فإنّ ذلك بسبب غياب النماذج النسويّة عامّة، لأنّنا إذا نظرنا في الكتابات النّسويّة التي سبقتها لم نجد في أسلوبها ومسراها الأدبيّ ما يميّزها عن أدب الرجال. [...]. لكنّ تعيين الزاد الأدبيّ لا يعني أنّ ذلك الزاد كان المحرّك الأوّل لنموّ الأدب الشخصيّ. إنّ في مثل ذلك الاعتبار ظلمًا لمَيّ ولأدبها. إنّنا نرى أنّ في ذاتيّة مَيّ ما يكفي لتفسير نموّ أسلوبها الأدبيّ الشّخصيّ، وتطوّره، مع نموّها وارتقاء فكرها ووعيها. إنّ أسلوب مَيّ هو تعبير عن مَيّ ومكنوناتها، وليس صوتًا مستعارًا من جبران، أو من نعيمة، أو حتّى من الرَّيحاني. نقول ذلك لأنّنا نشعر بمصداقيّة مَيّ في أدبها، ويقيننا أنّها أكثر مصداقيّة في أدبها من الذين تُدرَج أسماؤهم على أنّهم مصادر تميُّزِها. وإذا تتبّع القارىء نتاج مَيّ في نسقه التاريخيّ، وَضحَ له كيف نشأ وارتقى أسلوبها الأدبيّ مع نشوء وارتقاء فكرها الثّقافيّ. ويجد القارىء، حتّى في تفاصيل الأسلوب الأدبيّ، أنّ هذا الأسلوب يتبع محتواه الفكريّ. ومع ارتقاء هذا الفكر من الرومانسيّة الشاعريّة إلى الواقعيّة النّقديّة التّحليليّة، والجدّيّة الثّقافيّة الجوهريّة، ارتقى الأسلوب وتركّز وتصفّى.

سليم مجاعص،

"بدايات واعدة" في **مَيّ زيادة، نشوء وارتقاء المثقّفة الحرّة**، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب للنشر، ٢٠١٢، ص ٤٤-٤٥.

###

كانت تُجيد، بالإضافة إلى العربيّة، الفرنسيّة، والإنكليزيّة والإسبانيّة والألمانيّة والإيطاليّة واليونانيّة الحديثة واللاتينيّة.

وسرعان ما اشتهرت في الأوساط الأدبيّة بذكائها وسعة اطّلاعها وما كانت تنشره من مقالات، وكان كبار الكتّاب يتقاطرون لحضور الندوة الأدبيّة التي درجت على إقامتها كلّ يوم ثلاثاء، ومن بينهم طه حسين، وخليل مطران، ولطفي السيّد، ووليّ الدين يَكَن، وعبّاس محمود العقّاد، وأسعد حسني رئيس تحرير مجلّة العالم العربيّ. وقد روى هذا الصحافيّ ما أخبرته الأديبة الكبيرة عن سرّ اختيارها اسم "ميّ" لتوقيع مقالاتها. فقالت له إنّه لمّا كانت والدتُها تلميذةً، مثّلت دور "ميّ" بطلةِ إحدى مسرحيّات الشاعر الإنكليزيّ ألكسندر بوب، فبقي هذا الاسم حاضرًا في ذهن الأمّ فتدعو به ابنتها الوحيدة المدلَّلة. ولمّا أرادت الأديبة أن تختار لها اسمًا مستعارًا توقّع به كتاباتها، أشارت عليها الوالدة بأن تتّخذ اسم "ميّ" لرشاقته وقلّة تداوله بين النساء ولأنّه مكوّن من الحرفَين الأوّل والأخير من اسمها الأصيل.

وقّعت بعض كتاباتها باسم مستعار: إيزيس كُوبيا، وهي ترمز بذلك إلى، إيزيس أمّ الإله (=مريم) وإلى "زيادة" (بالكلمة اللاتينيّة "كُوبيا").

الأب كميل حَشيْمه اليسوعيّ،

"زيادة، ماري (١٨٨٦-١٩٤٢)" في **المؤلّفون العرب المسيحيّون من قَبل الإسلام إلى آخر القرن العشرين**، الطبعة الأولى، المجلّد الخامس، بيروت، دار المشرق، ٢٠١٣، ص٦٦.

###

[...] إنّ الآنسة مَيّ، على ما قاسَتْه في السنتين الأخيرتين من العذاب الروحيّ والألم الروحيّ والجسديّ، ومن الحزن الذي يوَلّده الاضطهادُ والجَور، في الناس، لم تَفقدْ إيمانَها بالله، ولم تَفقدْ إيمانَها بالحياة، وبالمبدإ الإلهيّ الذي يثير الحياةَ في أجملِ مظاهرها، ويجعلها في أحطّها وأظلمها شيئًا يُرثى له ولا يُنبذ.

هذي هي الحقيقةُ الكبرى في حياة الأديبة النابغة [وهي] تُثبت، فوق ما قدّمْتُ، أنّها منذ نشأتها مستقلّةٌ حرّةٌ في تفكيرها، تَستشفُّ مواطنَ الإلهام حيثما وجَدَتْها، وتستوحي الحياةَ في مظاهرها الكلّيّة والجزئيّة، وتطالِع وتدرس وتفكّر دون أن تقتديَ بأحدٍ ممّن تقدّمها أو عاصرها من الأدباء.

ولَعمري إنّ الفكر البشريّ الذي ينشأ كما نشأ فكرُ مَيّ، ويرتقي، ويُمعِن في استجلاء حقائق الحياة، ولا يتورَّع أمام أسْتِرَة التقاليد، إلّا في صون عقيدة، أو الحرص على إيمان، إنّما هو فكرٌ بشريٌّ ممتاز، لإمرأةٍ كان أو لرجل. هو الفكرُ في نوعه وقوّته ونفوذه وشموله، لا جنسيّةَ له، لا مؤنّثٌ هو ولا مذكّر. وإنّ الفكرَ في أدب مَيّ لَكذلك. وإنّ إيمان مَيّ الأعلى، إيمانَها بالله وبأكوانه ومخلوقاته، إنّ لهذا الإيمان رواسيَ لا تَهزّها أنواءُ الحياة ولا تدركها عوادي الشكّ والقنوط.

ولقد جاءتنا بالبرهان على ذلك. والدليلُ في محاضرتها الأخيرة في الجامعة الأميركيّة– رسالة الأديب إلى العالم العربيّ، بل إلى العالم على الإطلاق. فإنّك لَتراها في هذه المحاضرة حريصةً على مشعال العبقريّة، كما هي حريصةٌ على قدسيّة التَّبِعَة التي تصحب العبقريّة.

أحبّ أن أَزيدَ على ذلك كلمةً في أسلوب مَيّ وعقائدها. فممّا لا ريب فيه أنّ لها في الإنشاء أسلوبًا خاصًّا بها– بمزاجها، بعصبها، بذوقها، باتّجاهاتها، وبشتّى العوامل النفسيّة، والذهنيّة، والروحيّة. فتراها فيه الأديبةَ المحدّثة، والأديبةَ المحقِّقة، والأديبةَ المرشِدة، والأديبةَ اللاهية. فيترقرق النور خلال هذه المزايا الشخصيّة، ويُكسبها في كلّ مظاهرها شيئًا باهرًا ساحرًا في نقاوته وغيامه، في هدأته واضّطرابه، في نقمته وحنانه، في سخريته وتهكّمه. إنّه لَيندرُ في كُتّابنا اليوم، نساءً ورجالًا، مَن تتجلّى هذه المحاسنُ كلُّها في أسلوبهم.

أمين الرّيحاني،

"أَعُوْذُ بِكَ إلى مَيّ" في **قصّتي مع مَيّ** في **المؤلَّفات العربيّة الكاملة**، ط١، المجلَّد الرابع، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠١٦، م ر ٢١– ٢٣ (ص ٤٢٥٧– ٤٢٥٨).

###

مَيّ زيادة المتحدّية المظلومة التي تطاولت النكبات إلى صميمها، أحسّت بأنّ يدًا قاسية تعتنق الباطل، فنهضت إلى رحلة التأمّل غير المصطنع في الموجود المتشتّت، بحثاً عن قضيّة الإنسان أمام قدره. [...].

مَيّ زيادة الدائمة الوجود في الخطوط الأماميّة، خاضت مع الدنيا حربًا هي أشبه بملحمة، فراحت تفضّل طبيعة النار على طبيعة الطيّن. وقد زلزلت النّار حياتها المتكلّسة وحوّلتها مرارةً لا تنتهي، غير أنّ تضميد الجراح لم يتمّ إلّا في الكتابة. والكتابة هي وقود الحياة التي عقدت عليها مَيّ آمالًا عراضًا، فقد أصرّت على أن تختصر رحلة الحزن وأن تكافح آثار الضّيق، لتحقّق بالكلمة ما عجزت عنه في نهر الأيّام. [...].

مي زيادة حملت ولاّدة الأندلسيّة[١] تحت إبطها، وكانت مجموعة مبدعين في إمرأةٍ واحدة، فبرعت كما ولّادة في الشعّر، لكنّها تخطّتها في الخطابة وأدب الرسالة، كما في النّقد ومقالات الدّفاع عن المرأة والحقوق. وكما ولّادة، كانت العاشقة التي لم تمتنع عن أن تعيش في عالم الرّجال "ما دامت ستظلّ فيه إمرأة". أمّا جرأتها فإنّها رفضت عصر البطولة والسّجود لآدم، هذا الذي لن يبقى منه شيء إذا "أبدلنا المرأة به، وحرمناه النور والحرّيّة". لكنّ مسافة الألف ميل بينها وبين الرّجل، زرعتها مَيّ زهورًا فوق الألغام، وأبقت في قلبها زهرةً لم يسطتع أحد أن يقطفها، وقد تمنّت مَيّ أن يجتذب عطرها مَن دفعتها إليه عبر الأثير، لكنّ جبران ظلّ رسالة بعيدةً "لكي تبقى صورتها نقيّةً في مخيّلته".

[١][شاعرة أندلسيّة من بيت الخلافة. والدها المستكفي بالله محمّد بن عبد الرحمن الأمويّ. كانت تخالط الشعراء وتساجلهم. مشهورة بأخبارها مع الوزير والشاعر ابن زيدون. تاريخ ولادتها يكتنفه الغموض. كانت وفاتها بمدنية قُرْطُبة سنة ٤٨٤هـ/١٠٩٢م].

جورج شبلي،

"ميّ زيادة "ولّادة" ثانية" " في **مبدعون من لبنان**، الطبعة الأولى، دار صادر، ٢٠١٦، ص ١٢٣-١٢٤.

###

في الخاطر، في الحسّ، في خلجات القلوب، في ارتعاشات النفوس، في الأغوار من إنسانيّة الإنسان، تتراقص أطياف إيزيس كوبيا[١] في أشعارها ومتاهاتها، ومَيّ في اضّطراباتها وتساؤلاتها وقلقها، وتوقها المشرئبّ إلى مرامي بعيدة، لا تُدانى ولا تُلامَس.

مَيّ التي ما إنْ وعت نفسها حتّى أَمَضَّتْها تساؤلات مُلِحّة مُرهِقة لا تفارق خاطرها: مَن نحن؟ ما معنى الوجود؟ لماذا نأتي إلى هذه الدنيا؟ ما هو مصيرنا؟ ما هو سياق الحياة؟ إلى أين ننتهي؟ [...].

كان أوّل نتاجها مجموعة قطعٍ شعريّة ألّفتها بالفرنسيّة بعنوان "أزاهير حلم"، تحت توقيع مُستعارٍ "إيزيس كوبيا".

أمّا حكاية هذا الاسم المستعار فلا تخلو من الطرافة. فمَيّ التي كانت تُحْسِنُ اللغات الفرنسيّة والإنكليزيّة والألمانيّة واليونانيّة والروسيّة شاءت أن يكون لها اسم في التأليف يُحْدِث اثرًا.

ففتّشت في كتب الميتولوجيا عن الأسماء التي كانت تحملها الإلاهات التي كانت محبوبة. فإيزيس زوجة إيزيريس كانت تمثّل العذراء مريم، وكلمة مَيّ هي تصغير ماري اسم الكاتبة الحقيقيّ، ففرحت للاكتشاف وقرّرت أن يكون اسمها الأوّل إيزيس. أمّا "كوبيا" فيعني في اليونانيّة "زيادة" أي الفائض. فوجدت مَيّ أنّها وُفِّقَتْ إلى وجود اسمها واسم أسرتها، فاستعملته وتشجّعت على مواجهة جمهور القرّاء باسم مستعار، وهو اسم أحدث أثرًا كما كانت تتوقّع.

إملي فارس إبراهيم،

"مَيّ زيادة، ١٨٨٦-١٩٤١" في **أديبات لبنانيّات**، الطبعة الأولى، بيروت، دار الرَّيحاني للطباعة والنشر، [د.ت.]، ص١٣١، ١٩٣.

###

مَيّ غربيّة شرقيّة في تفكيرها، تفاعلت في قلمها الثقافتان فكان من نتاجها تعبير رصين لم تظفر بمثله أنثى قبلها. فمَيّ الكاتبة خير أنثى عرفها الشرق العربيّ، وهي في أسلوبها المتين تبزُّ الكثيرين من الفحول كما قيل في بنت عمّها الخَنْسَاء.

نفسَّت الخنساءُ كُرْبَتَها بما قالته في رثاء أخيها صَخْر، واعتصمت مَيّ بالحياء فماتت بدائها. ولها عذرها: فالأمّ غير البنت، والشقيقة غير الحبيبة.

[١] التوقيع المستعار لميّ في باكورة إنتاجها الذي وضعته بالفرنسيّة "أزاهير الأحلام".

في منثورها رائحةُ شعرٍ ذكيّة، وفي تعبيرها موسيقى بعيدة الأَثر. كان أدب المقالة مسيطرًا في عهد صباها، فتأثّرت كغيرها بأسلوب الشدياق والحدّاد واسحق وغيرهم من كتّاب القرن التاسع عشر، ثمّ ضمّت إلى قسماتها الفنّيّة بعض ملامح جبرانيّة ريحانيّة.

الكثير من أدب مَيّ يؤثِّر بقارئة لأنّه ابن الانفعال، والانفعال كما يقول "ريبو"، خميرة الإبداع الفنّيّ.

يحسّ قارىء مَيّ أنّها قرأت كثيرًا، وتمثّلت ما قرأته، فأخرجته متّسمًا بطابعها الشخصيّ، وإنْ لم يكن في هذا الطابع نتوء يدلّك عليه فتعرفه أنىّ وجدته. والذي عندي أنّ مَيّ ليست ممّن يُرسلون المقالَ عفوَ الخاطر، بل تنقِّح وتحكِّك. فإذا كان الخُطَيْئَةُ عبدَ الشعر، فمَيّ أَمَة النثر. أمّا أثرها في بنات جنسها فبعيد جدًّا، إنّها ربّة البند والعَلَم، وبحقٍّ يُعْقَدُ لها اللواء في أدبنا النسائيّ الحاضر والغابر، وحسبها هذا.

رحم الله فتاة نابغة هي إحدى حلقات سلسلتنا الذهبيّة، وفي ذمّة الله حياة ضاعت "بين الجزر والمدّ"[1]. إنّ المطرة ظَلَّتْ وحدها تشيّع السفينة– سفينة نبيّ جبران– بنظرها حتّى توارت بالضباب.

مارون عبّود،

"شيء عن مَيّ" في **جُدُدٌ وقُدماء** في**المجموعة الكاملة، في الدراسة**، المجلّد الثاني، بيروت، دار مارون عبّود، دار الثقافة، [د.ت.]، ص ٥٨٤–٥٨٥.

###

١. [في تلميحٍ من المؤلّف مارون عبّود إلى كتاب مَيّ زيادة الذي يحمل عنوان: **بين الجزر والمدّ**].